التلميذ الناشئ والشيخ الحكيم

الأخ عصام العطار

دموعُ عمرَ بن عبد العزيز

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم :

– كم نفتقدُ دُمُوعَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ في عُيونِ أصحابِ المالِ والسلطانِ من حكّامِ المسلمينَ الـــذينَ يقـــضون أوقاتَهم في صَفْوٍ ولَهْوٍ ولا يُحِسّونَ بإحساسِ الكادحينَ من الناس

قال الشيخُ الحكيم :

– وما دموعُ عمرَ بنِ العزيزِ التي ألمحتَ إليها يا بنيّ ؟

قال التلميذُ الناشئ :

– لقد قرأتُ في بعضِ الكتبِ هذا اليومَ أنّ عمرَ بنَ عبدِ العزيز قام في بيتهِ للصلاةِ مَرّةً فما مَلَكَ عَبْرَتَه .. فسألتْه زوجُه عمّا أبكاه في مُصَلاّه فقال :

« إنّي تقلّدتُ من أَمْرِ أُمَّةِ محمّدٍ ﷺ أسوَدها وأحمَرها .. فتفكّرتُ في الفقيرِ الجائع ، والمريضِ الضائع ، والعـــاري الْمَجهُود ، والمظلومِ المقهور ، والغريبِ الأسير ، والشيخِ الكبير ، وذي العِيالِ الكثير ، والمالِ القليل ، وأشـــباهِهم في أقطارِ الأرضِ وأطرافِ البلاد ، فعلمتُ أنَّ ربيّ سائلي عنهم يومَ القيامةِ فخشيتُ ألاَّ تَثْبُتَ لي حُجَّةٌ فبكَيْت »

قال الشيخُ الحكيم :

– فإنّما يفتقرُ حكّامُنا هذه الأيامَ إلى إيمانِ عمرَ بن عبدِ العزيز باللهِ واليومِ الآخر ، وإلى علمهِ ووعيـــه ، ويَقَظَـــةِ ضميرهِ ورَهافةِ شُعوره بمسؤوليّتهِ أمامَ اللهِ عزَّ وجلَّ .. فَمِنْ ذلك الإيمانِ والعلمِ والوعيِ والشعورِ تَنْبَثِقُ تلك الدموع ، وتتولّدُ أمثالُ تلكَ الأعمالِ الخالدةِ التي نَهض بها ذلك الرجلُ العظيم

تنازل !

قال رجلٌ في مجلسِ الشيخِ الحكيم :

– إنّ إسرائيل –كما يُذكر– مستعدَّةٌ للتنازل للعرب عن بعضِ الأراضي المحتّلةِ من أجلِ السلام

قال الشيخُ الحكيم :

– إنّ التنازلَ إنّما يكونُ عمّا يملِكه الإنسان ، وعمّا يكونُ له من حَقٍّ مشروع ، فكيفَ تُسمّي ردَّ بعضِ الأراضي المغتصبة إلى أصحابِها الشرعيّينَ تنازلاً ! .. لقد أصبحنا نستعملُ ألفاظَ العدوّ ، ونَنْزَلِقُ دونَ شعورٍ إلى المفاهيمِ التي يريدُها العدوُّ مِنْ هذه الألفاظ

قال التلميذُ الناشئ :

– ومع ذلك فالعدوُّ لا يتنازلُ لنا عن شيءٍ من حقّنا أبدا .. إنّه يطلب مقابلَ ما يعيدُه من أرضنا المغتصبةِ منَ الثمنِ الباهظِ ما لا يَطلُبُه إلاّ اليهوديُّ المرابي ، وما لا يقبلُه المخلصُ العاقل بحالٍ من الأحوال

في التنازل الإسرائيليّ أيضا !

قال رجلٌ في مجلسٍ آخرَ من مجالسِ الشيخِ الحكيمِ متعجِّباً :

– لا أدري كيفَ لا تَقبلُ أن تُسَمِّيَ تنازلَ إسرائيلَ عن جزءٍ من الأرضِ المحتلّةِ تنازلاً ؟! وكيف تَغْرِسُ ذلك في نفوسِ الشبابِ الناشئين ؟! .. أما آن الأوانُ لِتناوُلِ هذه الأمورِ بما ينبغي من المنطقِ والإنصاف ؟!

قال الشيخُ الحكيمُ بهدوء :

– أرأيتَ يا فلان ، لو أنّ لصّاً أو قاطعَ طريقٍ سَلبكَ ألفاً من الليراتِ ثمَّ ردَّ إليك عَشْراً منها على أن تتركَ له الباقي ، ولا تطالبَه به في الحاضر والمستقبل ، ولا تعملَ على استرجاعِه منه بأيّ وسيلةٍ من الوسائل .. وعلى ألاّ تُحصِّنَ منه –فوقَ ذلك كلِّه– نفسَك ولا بيتَك ، ولا تغلِقَ دونَ يدِه جيبَك .. هل تعُدُّ فعلَ ذلك اللصِّ تنازلا ! ولو دفعَ لك مائةَ ليرةٍ بدلَ العشر ؟ !

قال الرجل :

– لا

قال الشيخُ الحكيم :

– فكذلك نحن لا نعدُّ «تنازل !» إسرائيلَ تنازلاً ، بعد نعدّه وقاحةً وغروراً ، وإصراراً على الباطلِ والعدوان ، وكَذِباً على الألفاظِ والحقائقِ في وقت واحد .. إنّ «تنازلَ إسرائيل !» الذي يذكرونَه أو يطلبونَه هو كتنازلِ ذلك اللصّ ، بل إنّ اللصّ في الحالةِ المتقدّمة أهونُ جُرْماً وأقلُّ فُجوراً ألفَ مرَّة .. فمتى يكونُ لنا من الوعيِ والإخلاصِ والشجاعةِ ما يَحمينا الانحرافَ والضلالَ على جهلٍ ! أو على علم